بسم الله الرحمن الرحيم

شـــرح

ريــاض الصالحيــن

للإمام النووي رحمه الله (ت ٦٧٦) .

باب الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر

بقلم

سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية – رفحاء

الموقع على الإنترنت – مجلة رياض المتقين

www.almotaqeen.net

١٢- باب الحث عَلَى الازدياد من الخير في أواخر العمر

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ** ﴾ [فاطر : ٣٧] قَالَ ابن عباس والمحَقِّقُونَ : معناه أَو لَمْ نُعَمِّرْكُمْ سِتِّينَ سَنَةً ؟ وَيُؤَيِّدُهُ الحديث الَّذِي سنذْكُرُهُ إِنْ شاء الله تَعَالَى ، وقيل : معناه ثماني عَشْرَة سَنَةً ، وقيل : أَرْبَعينَ سَنَةً ، قاله الحسن والكلبي ومسروق ونُقِلَ عن ابن عباس أيضاً . وَنَقَلُوا أَنَّ أَهْلَ المدينَةِ كانوا إِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ أربْعينَ سَنَةً تَفَرَّغَ للعِبادَةِ، وقيل : هُوَ البُلُوغُ . وقوله تَعَالَى: ﴿ **وجَاءكُمُ النَّذِيرُ** ﴾ قَالَ ابن عباس والجمهور: هُوَ النَّبيّ ﷺ ، وقيل: الشَّيبُ ، قاله عِكْرِمَةُ وابن عُيَيْنَة وغيرهما . والله أعلم .

- **قَالَ الله تَعَالَى (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِير) .**

قال ابن كثير : أي: أو ما عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم؟

قَالَ ابن عباس والمحَقِّقُونَ : معناه أَو لَمْ نُعَمِّرْكُمْ سِتِّينَ سَنَةً ؟ ورجح ذلك ابن كثير في تفسيره ، حيث قال : عن مجاهد ، عن ابن عباس قال: العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم في قوله (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ) ستون سنة ، فهذه الرواية أصح عن ابن عباس، وهي الصحيحة في نفس الأمر أيضًا، لما ثبت في ذلك من الحديث .

قال ابن عاشور : والتعمير : تطويل العمر .

- **وقوله تَعَالَى : (وجَاءكُمُ النَّذِير)** قَالَ ابن عباس والجمهور : هُوَ النَّبيّ ﷺ ، وقيل : الشَّيبُ .

قال ابن كثير : روي عن ابن عباس، وعِكْرِمَة، وأبي جعفر الباقر، وقتادة، وسفيان بن عُيَيْنَة أنهم قالوا: يعني: الشيب.

وقال السُّدِّيّ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني به الرسول ﷺ وقرأ ابن زيد (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأولَى) وهذا اختيار ابن جرير، وهو الأظهر .

لقوله تعالى (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) أي: لقد بينا لكم الحق على ألسنة الرسل، فأبيتم وخالفتم .

وقال تعالى(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا) .

وقال تبارك وتعالى (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نزلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِير) .

قال البغوي : هو يعني محمداً ﷺ ، وهذا قول أكثر المفسرين .

وقال ابن عاشور : والنذير الرسول محمد ﷺ ، ووصف الرسول بالنذير لأن الأهم من شأنه بالنسبة إليهم هو النذارة .

١١٢- وأما الأحاديث فالأول : عن أبي هريرة ﷺ ، عن النَّبيّ ﷺ ، قَالَ : « أَعْذَرَ الله إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً » رواه البخاري .

قَالَ العلماء : معناه لَمْ يَتْرُكْ لَهُ عُذراً إِذْ أَمْهَلَهُ هذِهِ المدَّةَ . يقال : أَعْذَرَ الرجُلُ إِذَا بَلَغَ الغايَةَ في العُذْرِ .

(أَخَّرَ أجَلَهُ) يعني أطاله .

١-قوله ﷺ (أَعْذَرَ الله إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ ...) قال النووي : قَالَ العلماء : معناه لَمْ يَتْرُكْ لَهُ عُذراً إِذْ أَمْهَلَهُ هذِهِ المدَّةَ . يقال : أَعْذَرَ الرجُلُ إِذَا بَلَغَ الغايَةَ في العُذْرِ .

وقال الحافظ ابن حجر : الإعذار إزالة العذر ، والمعنى أنه لم يبق له اعتذار كأن يقول لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به . يقال أعذر إليه إذا بلغه أقصى الغاية في العذر ومكنه منه ، وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له ، فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية .

٢- وفي الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل ، وأصرح من ذلك ما أخرجه الترمذي بسند حسن عن أبي هريرة رفعه (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك) .

٣- في الحديث الحث على الازدياد من الخير والأعمال الصالة والاستغفار في أواخر العمر .

قال وهب بن الورد : إن لله ملكاً ينادي في السماء كل يوم وليلة أبناء الخمسين : زرع دنا حصاده ، أبناء الستين : هلموا إلى الحساب، أبناء السبعين : ماذا قدمتم و ماذا أخرتم، أبناء الثمانين : لا عذر لكم .

وعن وهب قال : ينادي مناد : أبناء الستين : عدوا أنفسكم في الموتى .

و في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (أعذر ﷺ إلى من بلغه ستين من عمره) .

و في حديث آخر (إذا كان يوم القيامة نودي أين أبناء الستين و هو العمر الذي قال الله فيه (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) .

وفي الترمذي عنه ﷺ قال (أعمار أمتي بين الستين إلى السبعين و أقلهم من يجوز ذلك) .

و في حديث آخر (معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين) .

و في حديث آخر (إن لكل شيء حصاداً و حصاد أمتي ما بين الستين إلى السبعين) و في هذا المعترك قبض النبي ﷺ .

قال سفيان الثوري : من بلغ سن رسول الله ﷺ فليتخذ لنفسه كفناً .

قال الفضيل لرجل : كم أتى عليك ؟ قال : ستون سنة، قال له : أنت من ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ، فقال الرجل : إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال فضيل : من علم أنه لله عبد وأنه إليه راجع فليعلم أنه موقوف وأنه مسؤول فليعد للمسألة جواباً ، فقال له الرجل : فما الحيلة ؟ قال : يسيرة، قال : ما هي ؟ قال : تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى ، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقى .

خذ في جد فقد تولى العمر ... كم ذا التفريط قد تدانى الأمر .

أقبل فعسى يقبل منك العذر ... كم تبني كم تنقض كم ذا الغدر .

الأعمال بالخواتيم ، من أصلح فيما بقي غفر له ما مضى ، ومن أساء فيما بقي أخذ بما بقي وما مضى .

قال مسروق : إذا أتتك الأربعون فخذ حذرك .

وقال النخعي : كان يقال لصاحب الأربعين احتفظ بنفسك .

وكان كثير من السلف إذا بلغ الأربعين تفرغ للعبادة .

قال عمر بن عبد العزيز : تمت حجة الله على ابن الأربعين فمات لها ، ورأى في منامه قائلاً يقول له :

إذا ما أتتك الأربعون فعندها ... فاخش الإله وكن للموت حذاراً .

يا أبناء العشرين كم مات من أقرانكم وتخلفتم ، يا أبناء الثلاثين أصبتم بالشباب على قرب من العهد فما تأسفتم ، يا أبناء الأربعين ذهب الصبا وأنتم على اللهو قد عكفتم ، يا أبناء الخمسين تنصفتم المائة وما أنصفتم ، يا أبناء الستين أنتم على معترك المنايا قد أشرفتم أتلهون وتلعبون لقد أسرفتم . (لطائف المعارف) .

- وقال ابن الجوزي : العاقل من فهم مقادير الزمان ؛ فإنه فيما قبل البلوغ صبي ، ليس على عمره عيار ....

فإذا بلغ فليعلم أنه زمان المجاهدة للهوى ، وتعلم العلم ، فإذا رزق الأولاد ، فهو زمان الكسب للمعاملة ، فإذا بلغ الأربعين ، انتهى تمامه ، وقضى مناسك الأجل ، ولم يبق إلا الانحدار إلى الوطن .

كأن الفتى يرقى من العمر سلمًا ... إلى أن يجوز الأربعين وينحطُّ

فينبغي له عند تمام الأربعين أن يجعل جل همته التزود للآخرة ، ويكون كل تلمحه لما بين يديه ، ويأخذ في الاستعداد للرحيل ، وإن كان الخطاب بهذا لابن عشرين ، إلا أن رجاء التدارك في حق الصغير لا في حق الكبير .

فإذا بلغ الستين ؛ فقد أعذر الله إليه في الأجل ، وجاز من الزمن ، فليقبل بكليته على جمع زاده ، وتهيئة آلات السفر ، وليعتقد أن كل يومٍ يحيا فيه غنيمة ، ما هي في الحساب ، خصوصًا إذا قوي عليه الضعف وزاد .

وكلما علت سنة فينبغي أن يزيد اجتهاده .

فإذا دخل في عشر الثمانين ليس إلا الوداع ، وما بقي من العمر إلا أسف على تفريط ، أو تعبد على ضعف .

نسأل الله عز وجل يقظة تامة ، تصرف عنا رقاد الغفلات ، وعملًا صالحًا نأمن معه من الندم يوم الانتقال .

٤-عدم التسويف في الأعمال إذا قارب الإنسان ستين سنة .

٥- أن الله لا يعاقب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه .

١١٣-الثاني : عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قَالَ : كَانَ عمر ﷺ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدرٍ فكأنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ في نفسِهِ ، فَقَالَ : لِمَ يَدْخُلُ هَذَا معنا ولَنَا أبْنَاءٌ مِثلُهُ ؟! فَقَالَ عُمَرُ : إنَّهُ منْ حَيثُ عَلِمْتُمْ ! فَدعانِي ذاتَ يَومٍ فَأَدْخَلَنِي مَعَهُمْ فما رَأيتُ أَنَّهُ دعاني يَومَئذٍ إلاَّ لِيُرِيَهُمْ ، قَالَ : مَا تقُولُون في قولِ الله : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ؟ [الفتح : ١] فَقَالَ بعضهم : أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللهَ وَنَسْتَغْفِرُهُ إِذَا نَصَرنَا وَفَتحَ عَلَيْنَا ، وَسَكتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيئاً . فَقَالَ لي : أَكَذلِكَ تقُول يَا ابنَ عباسٍ ؟ فقلت : لا. قَالَ : فما تقول ؟ قُلْتُ : هُوَ أَجَلُ رَسُول الله ﷺ أعلَمَهُ لَهُ، قَالَ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ وذلك علامةُ أجَلِكَ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ فَقَالَ عمر ﷺ: مَا أعلم مِنْهَا إلاَّ مَا تقول. رواه البخاري .

(**كَانَ عمر ﷺ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدرٍ**) أي : ممن شهد بدراً من المهاجرين والأنصار ، وكانت عادة عمر إذا جلس للناس أن يدخلوا عليه على قدر منازلهم في السابقة .

المراد ذوو الأسنان من الصحابة البدريين ، وهم من أفاضل الصحابة وأكارمهم .

(**فكأنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ في نفسِهِ**) أي : غضب .

(**فَقَالَ : لِمَ يَدْخُلُ هَذَا معنا**) أي : يشركه معنا في المهمات ، وهذا القائل هو عبد الرحمن بن عوف كما جاء عند البخاري في (علامات النبوة) .

(**ولَنَا أبْنَاءٌ مِثلُهُ**) أي : في سنه ، ولابن سعد من طريق عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير (كان أناس من المهاجرين وجدوا على عمر في إدنائه ابن عباس) .

(**فَقَالَ عُمَرُ : إنَّهُ منْ حَيثُ عَلِمْتُمْ**) وفي رواية للبخاري (إنه ممن علمتم) وأشار بذلك إلى قرابته من النبي ﷺ أو إلى معرفته وفطنته .

(**فما رَأيتُ أَنَّهُ دعاني يَومَئذٍ إلاَّ لِيُرِيَهُمْ**) وفي رواية (مني) وفي رواية ابن سعد (فقال : أما إني سأريكم اليوم منه ما تعرفون به فضله) .

(**مَا تقُولُون في قولِ الله (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْح)** وفي الرواية الثانية (حتى ختم السورة) .

(**هُوَ أَجَلُ رَسُول الله ﷺ أعلَمَهُ لَهُ**) أي: قرب أجله ﷺ ، وفي رواية ابن سعد (فهو آيتك في الموت) وفي رواية للبخاري (قال: أجلٌ ، أو مثلٌ ضُرِبَ لمحمد ﷺ نُعيتْ له نفسه) .

١- الحديث دليل على مشروعية الاستغفار عند دنو الأجل وخواتيم العمر .

وقد أمر الله بالاستغفار في خواتيم الأعمال .

قال ابن القيم : أمر الله وفده وحجاج بيته بأن يستغفروه عقيب إفاضتهم من عرفات وهو أجل المواقف وأفضلها ، فقال (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وقال تعالى (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) .

وفي الصحيح (أن النبي ﷺ كان إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثاً ...) .

وأمره بالاستغفار بعد أداء الرسالة ، واقتراب أجله ، فقال في آخر سورة أنزلت عليه (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً) .

ثم قال ابن القيم مبيناً سبب ذلك الاستغفار بعد الطاعات : لشهودهم تقصيرهم فيها ، وترْك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه .

وقال السعدي : وهكذا ينبغي للعبد, كلما فرغ من عبادة, أن يستغفر الله عن التقصير, ويشكره على التوفيق, لا كمن يرى أنه قد أكمل العبادة, ومَنَّ بها على ربه, وجعلت له محلاً ومنزلة رفيعة , فهذا حقيق بالمقت, ورد الفعل. كما أن الأول, حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أخر .

وقال ابن رجب : كان السلف يرون : أن من مات عقب عمل صالح ؛ كصيام رمضان أو عقيب حج أو عمرة يرجى له أن يدخل الجنة ، وكانوا مع اجتهادهم في الصحة في الأعمال الصالحة يجددون التوبة والاستغفار عند الموت ويختمون أعمالهم بالاستغفار وكلمة التوحيد .

لما احتضر العلاء بن زياد بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : كنت والله أحبُّ أن أستقبل الموت بتوبة قالوا : فافعل رحمك الله فدعا بطهور فتطهر ثم دعا بثوب جديد فلبسه ثم استقبل القبلة فأومأ برأسه مرتين أو نحو ذلك ثم اضطجع ومات .

ولما احتضر عامر بن عبد الله بكى وقال: لمثل هذا المصرع فليعمل العاملون : اللهم إني أستغفرك من تقصيري وتفريطي وأتوب إليك من جميع ذنوبي لا إله إلا الله ثم لم يزل يرددها حتى مات رحمه الله .

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه عند موته : اللهم أمرتنا فعصينا ونهيتنا فركبنا ولا يسعنا إلا عفوك لا إله إلا الله ثم رددها حتى مات . (لطائف المعارف) .

٢- الحديث دليل منقبة عظيمة لابن عباس .

أ- عن ابن عباس . (أن النبي ﷺ أتى الخلاء. فوضعت له وضوءاً. فلما خرج قال : من وضع هذا؟ في رواية زهير قالوا وفي رواية أبي بكر - قلت: ابن عباس ، قال : اللهم فقهه) متفق عليه .

ب- عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا له وقال (اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل) .

٣- الحديث دليل على أن النبي ﷺ بشر وأخبر باقتراب أجله في آيات عدة في القرآن الكريم .

منها قوله تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) .

وقوله سبحانه (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ *كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) .

وقوله (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) .

وقوله (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أنزلت هذه السورة (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) على رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق، وعرف أنه الوداع) رواه البيهقي .

وحديث الباب .

وقال الله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً) .

قال ابن العربي : وما من شيء في الدنيا يكمل إلا وجاءه النقصان ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله . (العواصم) .

وقد أشعر النبي ﷺ أصحابه في أكثر من موطن بقرب أجله وانتقاله إلى جوار ربه .

فعن معاذ بن جبل قال (لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته فلما فرغ قال (يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا . أو قال: . لعلك أن تمر بمسجدي هذا أو قبري) فبكى معاذ جشعاً لفراق رسول الله ﷺ) رواه أحمد .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة تمشي، كأن مشيتها مشي النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : (مرحباً بابنتي)، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثاً فبكت، فقلت لها: لم تبكي؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتها فقالت: أسر إليَّ: (إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي) فبكيت، فقال: (أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين) فضحكت لذلك) متفق عليه .

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمرهم أن يرموا بمثل حصى الخذف، وقال (لعلي لا أراكم بعد عامي هذا) رواه الترمذي .

٣- بركة دعوة النبي ﷺ لابن عباس يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين .

٤-فيه جواز تحديث المرء عن نفسه بمثل هذا لإظهار نعمة الله عليه ، وإعلام من لا يعرف قدره لينزله منزلته .

٥- فضل الفهم في القرآن الكريم .

١١٤- الثالث : عن عائشة رضي الله عنها ، قَالَتْ : مَا صلّى رَسُول الله ﷺ صلاةً بَعْدَ أنْ نَزَلتْ عَلَيهِ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ إلاَّ يقول فِيهَا : ((سُبحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

وفي رواية في الصحيحين عنها : كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكْثِرُ أنْ يقُولَ في رُكُوعِه وسُجُودِهِ : ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمدِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي)) ، يَتَأَوَّلُ القُرآنَ . معنى : ((يَتَأَوَّلُ القُرآنَ)) أي يعمل مَا أُمِرَ بِهِ في القرآن في قوله تَعَالَى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ .

وفي رواية لمسلم : كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكثِرُ أنْ يَقُولَ قَبلَ أنْ يَمُوتَ :

((سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمدِكَ أسْتَغْفِرُكَ وَأتُوبُ إلَيْكَ)) . قَالَتْ عائشة : قُلْتُ : يَا رَسُول الله ، مَا هذِهِ الكَلِماتُ الَّتِي أرَاكَ أحْدَثْتَها تَقُولُهَا؟ قَالَ: ((جُعِلَتْ لِي عَلامَةٌ في أُمَّتِي إذَا رَأيْتُها قُلتُها ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ... إلَى آخِرِ السورة))

وفي رواية لَهُ : كَانَ رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ مِنْ قَولِ : ((سبْحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ أسْتَغفِرُ اللهَ وأتُوبُ إلَيْهِ)) . قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رسولَ اللهِ ، أرَاكَ تُكثِرُ مِنْ قَولِ سُبحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ أسْتَغْفِرُ اللهَ وأتُوبُ إلَيْه ؟ فَقَالَ : ((أخبَرَنِي رَبِّي أنِّي سَأرَى عَلامَةً في أُمَّتِي فإذا رَأيْتُها أكْثَرْتُ مِنْ قَولِ : سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمدِهِ أسْتَغْفِرُ اللهَ وَأتُوبُ إلَيْه فَقَدْ رَأَيْتُهَا: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فتح مكّة ، ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾)) .

(**سُبحَانَكَ رَبَّنَا**) التسبيح : تنزيه الله عن كل عيب ونقص .

(**وَبِحَمْدِكَ**) الحمد : وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم .

(**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي**) أي : استر ذنوبي واصفح عنها .

١- الحديث دليل على مشروعية الاستغفار والإنابة في آخر العمر .

٢- قوله (كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكْثِرُ أنْ يقُولَ في رُكُوعِه ...) قيل : اختار النبي ﷺ الصلاة لهذا القول ، لأن حالها أفضل من غيرها .

٣- عبودية النبي ﷺ لربه ، فالنبي ﷺ يكثر من الاستغفار مع أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

٤- شدة حرص النبي ﷺ ومبادرته أمر الله له في القرآن .

٥- الحديث دليل على مشروعية قول هذا الدعاء في السجود والركوع .

٦- قولها (كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكثِرُ أنْ يَقُولَ قَبلَ أنْ يَمُوتَ) هذا يدل على أنه ﷺ لا يخص هذا الذكر في الصلاة فقط ، ويؤيد هذا ما أخرجه ابن جرير الطبري عن أم سلمة قالت (كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ، ولا يقعد ، ولا يذهب ، ولا يجيء ، إلا قال : سبحان الله وبحمده ، فقلت : يا رسول الله ! رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده ، لا تذهب ولا تجيء ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت : سبحان الله وبحمده ، قال : أني أمِرتُ بها ، فقال (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخر السورة .

١١٥-الرابع : عن أنس رضي الله عنه ، قَالَ : إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ تَابَعَ الوَحيَ عَلَى رسولِ الله ﷺ قَبلَ وَفَاتِهِ حَتَّى تُوُفِّيَ أكْثَرَ مَا كَانَ الوَحْيَ . مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

(**الوَحيَ**) لغة الإعلام ، وشرعاً : الوحي لغة : الإعلام في خفاء ، وشرعاً : الإعلام بالشرع . [الفتح]

فالوحي : ما أوحاه الله عز وجل إلى نبيه ﷺ سواء كان بواسطة أو بغير واسطة .

١- معنى الحديث : أي أكثر إنزاله قرب وفاته ﷺ ، والسر في ذلك ، أن الوفود بعد فتح مكة كثروا وكثر سؤالهم عن الأحكام فكثر النزول بسبب ذلك .

وقال ابن كثير : ومعناه أن الله تعالى تابع نزول الوحي على رسول الله ﷺ شيئا بعد شيء كل وقت بما يحتاج إليه ولم تقع فترة بعد الفترة الأولى التي كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله اقرأ باسم ربك ، فإنه استلبث الوحي بعدها حيناً يقال قريباً من سنتين أو أكثر ثم حمي الوحي وتتابع وكان أول شيء نزل بعد تلك الفترة (يا أيها المدثر قم فأنذر) .

٢- كثرة نزول الوحي في آخر حياته ﷺ علامة الأجل والقرب من الله .

فائدة : الحديث دليل على أن الوحي له مراتب :

منها : الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

كما في حديث عائشة الآتي إن شاء الله .

ومنها : ما كان يلقيه الملَك في روعه من غير أن يراه .

كما قال النبي ﷺ (إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ..) رواه ابن ماجه .

قال المناوي : (في رُوعِي) بضم الراء ، أي : ألقى الوحي في خلَدي وبالي ، أو في نفسي ، أو قلبي ، أو عقلي ، من غير أن أسمعه ولا أراه .

ومنها : أنه كان يتمثل له الملك رجلاً ، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له ، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً .

ومنها : أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس .

كما في حديث الباب .

ومنها : أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها ، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه ، وهذا وقع له مرتين .

ومنها : ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها .

ومنها : كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك ، كما ثبت ذلك في حديث الإسراء .

١١٦- الخامس : عن جابر ﷺ ، قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ : ((يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ)) رواه مسلم .

(**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ**) من رجل أو امرأة .

(**عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ**) أي : على الحالة التي مات عليها .

١- الحديث دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يحسن عمله ، لأنه لا يدري متى يموت ، وسوف يبعث على ما مات عليه من خير أو شر .

٢-قوله (كل عبد على ما مات عليه) أي : على الحال التي مات عليها من خير وشر .

قال الهروي : وليس قول من ذهب به إلى الأكفان بشيء ، لأن الإنسان إنما يكفن بعد الموت ، ثم هذا الحديث يوضحه حديث أبي داود عن عمر : قيل، يا رسول الله، أخبرني عن الجهاد والغزو، قال: إن قتلت صابراً محتسباً بعثت صابراً محتسباً وإن قتلت مرائياً مكاثراً بعثت مرائياً مكاثراً على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحال .

أخوكم

سليمان بن محمد اللهيميد

الثلاثاء: ١٠ / ٧ / ١٤٣٤هـ